الباب الثالث

التوبة

الفصل الأول : لماذا التوبة ؟ وثمرتها ووقتها .

الفصل الثانى : مراحل التوبة وشروطها .

الفصل الثالث : برنامج يومى لتجديد التوبة .

الفصل الأول

لماذا التوبة وثمرتها ووقتها

معنى التوبة :

تاب إلى الله تعالى توبا وتوبة ومتابا : رجع عن معصيته وندم عليها فهو تائب ، وتاب الله عليه : غفر له وعاد عليه بفضله .

والتواب اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه أنه هو الذى يوفق عباده إلى أسباب التوبة ويقبلها منهم، ويقال للعبد: تواب ؛ أى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب.

يتناول جزء التوبة ثلاث نقاط هى :

لماذا التوبة ؟ ويجاب عليها من خلال آيات وأحاديث عن الرسول ﷺ . وثمرتها ووقتها .

ثم مراحل التوبة وشروطها ،سواء ما إذا اتصل الذنب بعلاقة العبد بربه أو بالناس، ثم يتم عرض برنامج يومى، يمكن للأخت المداومة عليه من سنة الرسول ﷺ فى التوبة سواء من خلال العبادات الوضوء والصلاة والقرآن أو من خلال أعمال اليوم والليلة .

أولاً : لماذا التوبة وثمرتها ؟

ـ لأن : « **كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين المستغفرون** » أخرجه الترمذى [1].

ـ ليكسب العبد حب الله له ، ويكتب له القبول فى الأرض، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البقرة].

ـ لأن الله يفرح بتوبة العبد المؤمن .

يقول ﷺ : « **لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه**

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩) ، وقال : « حديث غريب » ، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٥١) ، وحسنه الألبانى .

فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعدته ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فالله تعالى أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » رواه مسلم (١) .

ـ لأن الله تعالى يقبل التوبة فهو التواب الرحيم ، قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [الشورى : ٢٥] .

ـ لأن كثرة الذنوب تطمس القلب، قال تعالى فى سورة المطففين : ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ .

ـ لأن الله يغار على العبد ،يقول ﷺ : « **إن الله تعالى يغار ، وغيرةُ الله أن يأتى المرء ما حرم الله عليه** » متفق عليه (٢) .

ـ لأن الله تعالى غفار ، وكثير الخيرات لمن تاب فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾** ﴾ [نوح] ، وفى سورة طه : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾** ﴾ .

ـ لأن الله رحيم ودود ، قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴿٩٠﴾** ﴾ [هود] .

ـ لأن الله واسع المغفرة ، يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ [النجم : ٣٢] .

ـ لأن الخطأ من طبيعة ابن آدم ،يقول ﷺ : « **كل ابن آدم خطاء ،وخير الخطائين المستغفرون** » أخرجه الترمذى (٣).

يقول الله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس] .

ـ للخروج من الضيق والهم ، ولتوسعة الرزق ،يقول ﷺ : « **من لزم الاستغفار**

---

(١) مسلم فى التوبة (٣/٢٧٤٤) .

(٢) البخارى فى النكاح (٥٢٢٣) ، ومسلم فى التوبة (٣٦/٢٧٦١) .

(٣) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

جعل الله له من كل ضيق ، مخرجا ومن كل هم فرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود (١).

ـ لأن الله واسع المغفرة :

عن أنس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذى (٢) .

ـ لأن الله أقرب للعبد من نفسه ولا يخفى عليه مثقال ذرة يقول الله تعالى فى سورة ق : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)** ﴾ .

ـ لأن الله تعالى أسرع وأقرب للعبد من العبد إليه ، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

« إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة » رواه البخارى (٣) .

ـ للوقاية من عذاب الله قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)** ﴾ [الأنفال]

ـ لأن الله تعالى هو الذى يغفر الذنوب وحده، يقول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)** ﴾ [آل عمران] .

ـ لسوء تقدير الإنسان للذنب ، قال تعالى: ﴿ **وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)** ﴾ [النور]

ـ لسرعة الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)** ﴾ [الأعراف]

---

(١) أبو داود فى الصلاة (١٥١٨) ، وأحمد (١/٢٤٨) ،وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٣٤):« إسناده صحيح » .
(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٤٠) وقال: « حديث غريب » .
(٣) البخارى فى التوحيد (٧٥٣٦ ، ٧٥٣٧) .

ـ لأن الله يغفر الذنوب جميعًا ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر] .

ـ لأن رحمة الله تغلب غضبه عن أبى هريرة قال ﷺ : « **لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى** » متفق عليه (١) .

ـ لأن رحمة الله واسعة يقول ﷺ : « **لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته** » رواه مسلم من أبى هريرة (٢).

ـ ولماذا للنساء خاصة ؟

لأن النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير أو ينكرن خير الزوج يقول ﷺ : « **يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار** » . قالت أمرأة منهن : ما لنا أكثر أهل النار ؟ قال: « **تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير** » رواه مسلم من حديث ابن عمر (٣).

ثانيًا : وقت التوبة :

فور معرفة الذنب تجب التوبة فى أقرب وقت عرف فيه المؤمن أنه قد وقع فى الذنب ، وفى هذه الحالة عليه التوبة وعلى الله المغفرة قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون] ، وقال تعالى : ﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال] .

ولماذا ينتظر المؤمن اليوم الثانى ليتوب. وقد قال ﷺ: « **إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار،ولمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » رواه مسلم(٤) . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإسراء] .

وقال ﷺ : « **أتبع السيئة الحسنة تمحها . .** » الترمذى (٥) .

---

(١) البخارى فى التوحيد (٤ - ٧٤) ، ومسلم فى التوبة (٢٧٥١ / ١٤) .

(٢) مسلم فى التوبة (٢٧٥٥/ ٢٣) .

(٣) مسلم فى الإيمان (٧٩/ ١٣٢) .

(٤) مسلم فى التوبة (٢٧٥٩/ ٣١) .

(٥) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧) وقال : « حسن صحيح » .

والمسارعة إلى التوبة والمغفرة فهما طريقان إلى الجنة قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران] .

عن أبى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » رواه الترمذى (١). وقال : « حسن ».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** » رواه مسلم (٢) .

الاستغفار طوال اليوم :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » رواه البخارى (٣) .

وفى الأيام التى تفتح فيها أبواب الجنة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ! أنظروا هذين حتى يصطلحا** » رواه مسلم (٤).

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٣٧) وقال : « حسن غريب » .

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٣/ ٤٣) .

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٧) .

(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٥ / ٣٥) .